أ.د. محمد باقر حجتي
أستاذ جامعة طهران

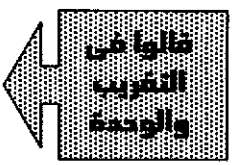


# وحدة الامة الاسلامية

الحمد لله الذي توحد في البقاء ، وقهر عباده بالموت والفناء، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء، وعلى آله خير الأوصياء، وعلى صحبه الانتقياء.

لم يمض سوى بضع سنوات على القرون الأربعة عشر حتى غدت الكرة الأرضية تحمل على متنها نحواً من مليار نسمة يفتخر كل فرد منهم ويتباهى بكونه من اتباع نبيّ الاسلام (ص) إلا أن هؤلاء الأفراد الذين تجمعهم كلمة (المسلمين) في أمة واحدة ، تحكمهم ، في الحقيقة غربة بعضهم عن بعض ، بل حتى العداء والخصام أحيانا. لاشك أن هذا الاغتراب والخلاف والنزاع بيننا - نحن المسلمين - لا يرضاه الله (تعالى) لنا، ويسبّب الألم لروح خاتم الأنبياء (ص) ويهز عرش الله عزوجل، من أجل بعض المسائل الصغيرة والثانوية، والعوامل التافهة الواهية التي لا اساس لها، والتي هي من صنع الأعداء الذين يشيعون التفسخ في عنصر الوحدة الأساس، أي كيان الاسلام من الداخل، متسببّين في ضعف بنائه وتهافته، أثُرانا، نحن الأمة الإسلامية، هل استطعنا، منذ أن بدأنا الخلاف - الخلاف الذي أدى بنا أحيانا الى الاحتراب واراقة الدماء - أن نمدّ بذلك

يداً لإعلاء شان الإسلام ولتثبيت دعائم حكم القرآن؟ أم أننا - على العكس من ذلك تسببنا في ضعف الإسلام والمسلمين؟ إن الإمام الخميني (قدس الله سره)، الذي ينطق لسانه بما هو من الإسلام والقرآن، يقول:

«على الإخوة المسلمين من أهل السنة والتشيع أن يشددوا في الحفاظ على وحدتهم. إن طرح فكرة التسنن والتشيع مخالف للاسلام ، إذ لا فرق بين سني وشيعي، وإنما نحن جميعاً مسلمون، وعلينا أن نجاهد من أجل الإسلام كالأخوة...» [1].

«اختلافنا اليوم - كما في السابق - لا يخدم سوى مصلحة الذين لا يعتقدون بمذهب التشيع ولا بمذهب التسنن من حنفي وشافعي وحنبلي ومالكي. هؤلاء يريدون أن لا يكون هناك ثمة سني ولا شيعي.. إننا جميعاً مسلمون، وإننا جميعاً من أهل القرآن، ومن أهل التوحيد، فعلينا أن نعمل من أجل القرآن والتوحيد.

إن كل فريق من أتباع الكتب السماوية السابقة، أي اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم. لم يكونوا مهابين بالاختلاف في بنيتهم العقائدية وسائر شؤونهم الدينية الأخرى فحسب، بل انهم لم يتفقوا يوما حتى في وجهات نظرهم بالنسبة لكتبهم السماوية. فاليهود يعانون الكثير من الاختلاف جرّاء كتابهم السماوي التوراة. والنصارى يواجهون اناجيلهم الأربعة التي تتباين فيما بينها تباينا اساسيا من حيث المضمون والمحتوى، بل حتى من حيث الأحكام. والمجوس الزرادشتيون ذهب كتابهم «الأفستا» طعماً للنيران. ولكن مهما تكن الحال، فإن أهل الكتاب لا ينتفعون بكتاب سماوي موثوق به، وليس بين أتباع الكتب السماوية سوى المسلمين الذين هم - بالرغم من اختلافهم في الأسماء والمذاهب والفرق والطوائف - يحملون وجهة نظر واحدة وقطعية بالنسبة لكتابهم السماوي: القرآن المجيد الموجود عند جميع الفرق الاسلامية ، والذي

يفتخر باتّباعه المسلمون كافةً. إن القرآن الذي يتلوه الشيعي ويتلوه السني، القرآن الذي يتلوه الشيعي الإمامي والزيدي والإسماعيلي ، وكذلك القرآن الذي يَتلوه السني المالكي والحنفي والشافعي والحنبلي ، هو لا يختلف في كلمة ولا في حرف. أفلا نلاحظ بقاء القرآن محفوظاً من كل التحريفات صوناً لوحدة أمة الإسلام . كدرسٍ نعتبر به يحملنا على أن نسعى في توحيد الكلمة والاتحاد.

القرآن المجيد الذي هو المرجع للمتدين بدين الاسلام، واحد لدينا جميعاً ، وليس بيننا أي خلاف، مهما قيل ، بشأن كتابنا السماوي (وعلى الرغم من ان بعضنا يتهم بعضنا الآخر خطأ بالاعتقاد بالتحريف، فإننا عملياً نتلو قرآنا واحداً، ونعمل بقرآن واحد، ونستند إلى قرآن واحد، ونحن جميعا لا نختلف بشأن القرآن أقل اختلاف).

ان السنة والشيعة، بجميع فرقهما ليسوا متحدين بشأن القرآن فحسب، بل هم متحدون كذلك في الرأي بشأن السنة الشريفة أيضا. والحقيقة هي أن فِرَق أهل السنة والشيعة ليس بينها أيّ خلاف جوهري في وجهة نظرهم بهذا الخصوص. فالسني في سنيته يقول: انه يتبع سنة رسول الله(ص) ويقتدي بالمعصوم، وكذلك هو قول الشيعة بجميع فرقهم ايضا. إذن فكلتا الفرقتين السنية والشيعية، تستند الى قول النبي المعصوم وفعله وتقريره. وكلتا الفرقتين تعتمدان في معرفة سنة النبي (ص) على وسائط هي موضع ثقة الطائفتين فهي عند اهل السنة في الغالب الصحابة والتابعون وعند الشيعة الامامية الائمة الاثنا عشر. إذن فكلتا الطائفتين تتخذ من هذه الوسائط مايوصلها الى سنة رسول الله(ص) وبناءً على ذلك، ليس في هذا الموضوع أي خلاف بين السنة والشيعة، بل تسعى كلتاهما للوصول الى السنة خلال طرق تطمئن اليها وتثق بها، وهذه الطرق عند الشيعة - كما قلنا - هي في الغالب

الائمة الاثنا عشر والصحابة أحيانا، وهي عند أهل السنة ، الصحابة والتابعون؛ وأئمة الشيعة أحيانا. فليس صحيحا اتهام الشيعة بأنهم يقتصرون على قبول الأحاديث الواصلة إليهم عن طريق الأئمة فحسب فهذه كتب الشيعة في الحديث مفعمة بالأحاديث المنقولة عن الصحابة وهي معتبرة عندهم. ولو قارنا بين جوامع ومجامع أحاديث الشيعة وجوامع ومجامع احاديث أهل السنة لوجدنا أن تلك الأحاديث تكاد تكون جميعها، من حيث المضمون والمحتوى، واحدة.لم هذا الخلاف؟ ولماذا لا ننهض للعثور على جذر التفرقة لنجتثه من أصوله؟

كذلك هي الحال بالنسبة لسائر المواضيع الأساس بين الشيعة والإخوة من أهل السنة، إذ ليس هناك أيُّ خلاف. ولابد من القول بأن الخلاف بين هاتين الطائفتين خلاف في الذوق، خلاف في كيفية إدراك النصوص الدينية وأسلوب الاستنباط منها، وهو ما يجب أن نطلق عليه اسم «الاجتهاد».

وفي هذا يقول أحد اعاظم العلماء المعاصرين، المرحوم العلامة الطباطبائي، صاحب كتاب «الميزان في تفسير القرآن».

«ليس ثمة شك في نظر العقل والمنطق في رجحان الاتحاد أو التقريب الإسلامي.. ان الذين يعملون للتفرقة فرقوا، على قدر استطاعتهم ، بين الطائفتين الإسلاميتين الكبيرتين» (يقصد أهل السنة والشيعة).

ولكن ينبغي ان لا تغرب عن بالنا هذه الحقيقة، وهي أن الخلاف بين الطائفتين يكمن في الفروع، إذ ليس بينهما أي خلاف في الأصول، بل انهما حتى في الفروع الضرورية، كالصلاة والصوم والجهاد وغيرها. متفقان واستناداً الى هذا المبدأ نجد أن الشيعة في الصدر الأول لم يعتزلوا الأكثرية أبداً، وكانت لهم مساع مشتركة مع عامة المسلمين في كل تقدم إسلامي.

إن من واجب جميع المسلمين اليوم أيضا أن يضعوا اتفاقهمْ في أصول الدين

الإسلامي المقدس نُصْبَ أعينهم، وأن يراجعوا أنفسهم ليذّكروا كل تلك الضغوط والآلام التي عانوا منها طوال هذه المدة من الغرباء والعملاء الأجانب، فيتخلوا عن هذه التفرقة الفعلية ، ويقفوا في صف واحد، وعليهم أن يبادروا هم إلى إثبات هذه الحقيقة بأنفسهم، قبل أن يتقدم الآخرون (الغرباء عن الإسلام) باكتشاف هذه الحقيقة التاريخية وتدوينها في كتبهم.

... لقد اشار شيخ الأزهر الجليل «الشيخ شلتوت» الى هذا الصف (الواحد) بكل صراحة وصدق، فأعلن للعالم الاتفاق التام بين الشيعة وأهل السنة.. إننا نسال الله المتعالي أن يهدي كل مفسد ومغرض ويصلحه، وأن يوفق المسلمين إلى اتحاد عملي يعيدون به مجدهم السابق وعظمتهم الماضية»[٢].

على الرغم من أن المسلمين في صدر الإسلام كانوا على مستوى ضعيف جداً من حيث العدة والعدد والاقتصاد، ولكنهم استطاعوا خلال ربع قرن أن يغلبوا دولتين عظيمتين في ذلك الزمان، الروم والفرس.

لقد كان سبب هذا الانتصار فضلا عن الايمان هو وحدة كلمتهم والتضامن فيما بينهم. لقد كانوا فعلا، وبكل معنى الكلمة ، موحدين، وكان هذا التوحيد في العمل والاتحاد والتضامن يخلق فيهم العز والثبات.

وفي عصرنا الحاضر، على الرغم من أن المسلمين من حيث العدد يؤلفون رقماً لافتاً للنظر، فهناك اكثر من مليار مسلم ينطق بكلمة (لا إله إلا الله،محمد رسول الله)، وعلى الرغم من أن مصادر الطاقة لإدارة عجلة الاقتصاد العالمي في قبضة أيديهم - بحيث أنهم لو سدوا طريق تسرب هذه الطاقة إلى العالم لتوقفت حركة دوران الاقتصاد العالمي في قبضة أيديهم فإننا نجد أن ثلاثة ملايين من الافاقين من جنسيات مختلفة وعناصر متفخسة يتجمعون في أرض اغتصبوها وأقاموا عليها دولة غير شرعية ولا قانونية باسم «إسرائيل» في قلب الأرض الإسلامية، واستولوا على قبلة المسلمين الأولى في المسجد

الأقصى. وإسرائيل ، هذا القلب المريض، ما تزال منذ سنوات تؤلم الجسد المحيط بها، البلدان الإسلامية. فاختلقت - لإثبات وجودها ، وللإبقاء على كيانها غير القانوني - الخلافات بين الشعوب الإسلامية، وشرّدت شعبا من أرضه، وأراقت دماء الأبرياء في لبنان وفلسطين وسوريا. فمنذ اليوم الذي خلقت فيه الصهيونية فكرة القوميات، التركية والإيرانية والعربية وغيرها، وروجتها في أوساط الشعوب الإسلامية، كان هدفها من ذلك هو تشتيت وحدة ميليار مسلم، وإيجاد طريق لها، من خلال عوامل التفرقة للإبقاء على حياتها.

لاشك ان الخلاف العملي بين الطوائف الإسلامية - شيعية وسنية - كان منذ القديم من أهم العوامل التي تخدم مصالح أعدائهم، وقد كان هؤلاء الأعداء وما يزالون يستخدمون هذا السلاح بأقصى طاقاتهم، بصفته من أشد الأسلحة المؤثرة والفتاكة في كل زمان ومكان. ألا تكون هذه التجارب المُرة التي ذاق طعمها المسلمون منذ أيام النبي الأكرم(ص) حتى اليوم، درس عبرة لهم يحدو بهم إلى مدّ يَدِ الاتحاد لبعضهم بعضاً، نابذين جانبا كل الخلافات الفرعية والذوقية؟

إنه لمن العار حقا أن يفرض ثلاثة ملايين من الافاقين المشردين أنفسهم بالقوة على أرض إسلامية مغتصبة وعلى مليار مسلم من أتباع محمد(ص) ترى لماذا استطاعوا أن يفرضوا ما يريدون علينا ، ثم ليصبحوا الوسيلة التي تنهب بها الدول المستكبرة ثرواتنا المادية والمعنوية؟ إن الجواب عن هذا السؤال واضح، فان مليار من المسلمين، الذين تستطيع كلمة لا إله إلا الله ان توحد بينهم، تراهم غرباء فيما بينهم، وقد يحمل بعضنا العداء لبعضنا الآخر لدواع موهومة لا أساس لها، بينما عدوّنا المشترك يصطاد في الماء العكر، وهو إذ يشاهدنا بدل المحبّة والتعاطف، نتبادل الحقد والعداء فيما بيننا، يرقص جذلاً كالشيطان، لأنه يعرف أن إلقاء التفرقة خير فخ لاصطياد الفرد، والمجتمع

والسيطرة عليهما.

ان الاسلام الذي يقول:

«ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا» (النساء/ ٤) والاسلام الذي يدعو اهل الكتب السماوية للاتحاد والانضمام إلى المسلمين في التوحيد، فيقول له:

«قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا» (آل عمران/ ٦٤).

الإسلام الذي يرسل نبيه الى امثال هرقل و المقوقس الرسائل وفيها الآية المذكورة، داعيا إياهم إلى ان يتحدوا مع المسلمين في المشتركات مما في كتبهم السماوية. فهل يجيز هذا الاسلام للإخوة من أهل السنة والشيعة - الذين لا يشتركون في أصول العقيدة الثلاثة (المطروحة في جميع الأديان السماوية) فحسب ، بل يتوجهون إلى قبلة واحدة في صلاتهم، ويتبعون كتاباً سماوياً واحداً هو القرآن، وهم جميعاً يعتنقون دين نبي واحد - أن يختلفوا فيما بينهم، ويكفر بعضهم بعضاً، وأن يصعدوا من هذه الاختلافات بما يخدم مصالح أعداء النبي الكريم(ص) وأعداء القرآن والإسلام والكعبة؟ أو أن يمهدوا الطريق للفتك في عضد هذا الدين المقدس ومهاجمته عن طريق المنازعات الصغيرة الموضعية والموسمية؟

الا يُشبه هذا الخلاف بين اهل السنة والشيعة ذلك الخلافة الذي يتحدث عنه الموسوي جلال الدين الرومي في مثنوياته؟

متحدثا عن التركي والفارسي والعربي والرومي المختلفين في فاكهة واحدة باسماء متعدّدة ظناً منهم التعدّد (عنب، انگور، ازم، استافيل).

ان خلافاتنا نحن المسلمين، وتفرقنا، وأحيانا حقدنا ومنازعاتنا فيما بيننا ناجمة من جهل كل منا باهداف الآخر. إننا جميعاً نرتضي إلها واحداً، ونبيا

واحدا، وكتاباً سماوياً واحدا، وقبلة واحدة، ونشترك معاً في جميع ضروريات الدين. فلو كنا نعرف أهدافنا ومقاصدنا، لكان علينا أن نقول: إننا جميعاً شيعة، لأننا، شيعة كنا أم من اهل السنة ، نحب النبي الكريم (ص) واهل بيته (عليهم السلام) كما أننا جميعاً من أهل السنة، لان كلتا الطائفتين ترى العمل بسنة النبي الكريم(ص) واجباً. وإذا كان هناك في المسائل غير الأساس وغير الضرورية بعض الخلاف بيننا، فهو خلاف يوجده الاجتهاد، وقد أجازت الشريعة الإسلامية مثل هذا الخلاف، وهذا نفسه من مميزات الدين الإسلامي المقدس. بل ان هذا الخلاف نفسه موجود بين مجتهدي الفرقة الواحدة. فبين مجتهدي الشيعة، في العصر الواحد وعلى امتداد العصور، كانت خلافات كثيرة في المسائل الفرعية، اختضته حركة الاجتهاد، وليس في هذا أي ضرر على الأخوة والاتحاد بيننا في المسائل الأساس في الإسلام، بل يجب أن نقول: إنه يساعد على تحرك الفكر والبحث ويمنع ركودهما.

قبل نحو أربعين سنة، اجتمع عدد من رجالات الاسلام الواعين من أهل السنة والشيعة في جامع الأزهر، ومشوا بخطوات ثابتة نحو الاتحاد والتضامن بين المذاهب الإسلامية، فأسسوا (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية) على اثر صدور الفتوى التاريخية من العالم الفقيد الكبير الشيخ شلتوت القاضية بأن العامة من أهل السنة يجوز لهم التعبد على مذهب اهل البيت الشيعة كأحد أئمتهم الأربعة. إلا أن بعض السطحيين من الشيعة وأهل السنة انتقدوا دار التقريب، وخاصة تلك الفتوى، واعتبروا ذلك بمثابة تشيع السني وتسنن الشيعي، فادانوه.

يجدر بنا - ونحن في هذا العصر الذي تقطعت فيه أواصر المذاهب الإسلامية - أن نقوي من آمال دار التقريب ونحييها، وان يضع أتباع المذاهب الخمسة أيديهم في أيدي إخوانهم لتجديد عظمة القرآن والإسلام.

كان عمر وعلي يتشاوران ، كان الامام علي يتشاور مع الخلفاء ويشترك في

صلاة الجمعة معهم ويتعاون معهم بأقصى ما يستطيع ، لأن عليا (عليه السلام) كان يعرف أن إمبراطورية الروم والفرس نشطة ضد الإسلام، وأن الدول القوية من الخارج، والمنافقين من الداخل، يتواطأون ضد الإسلام، فكان من اللازم في مثل تلك الظروف أن تتعاضد مساعي رجالات الإسلام.

واليوم ايضا نعرف - نحن اتباع الاسلام - أن أعداءنا في الخارج يسعون لإضعاف الاسلام، وفي قلب بلداننا الإسلامية اغتصبت إسرائيل أرض الشعب لتكون سداً في وجه وحدة العالم الاسلامي ورأس حربة للكفر العالمي لمواجهة وحدة المسلمين. وللسيطرة على أهم شرايين الحياة الاقتصادية.

لقد أقيمت الجمهورية الإسلامية في إيران على أساس إيجاد الوحدة بين الشعوب الإسلامية، وقائدنا الجليل الذي يستهلم من الكتاب والسنة في ارشاد الأمة الإسلامية في ايران، تعتبر فتاواه خير دليل على السعي لايجاد الانسجام والاتحاد بين الشعوب الإسلامية. من ذلك، مثلا، قول قائدنا ومرجعنا الإمام الخميني:

«إذا ثبتت غرة ذي الحجة عند علماء اهل السنة وحكموا بأن اليوم هو الأول من ذي الحجة، يكون على الحجاج الشيعة أن يتبعوهم ، وأن يذهبوا إلى عرفات يوم يذهب سائر المسلمين إليها، وحجهم صحيح».

ويقول ايضا: «لا يجوز الخروج من المسجد الحرام أو مسجد الرسول في المدينة عند الشروع في صلاة الجماعة، بل يجب على الشيعة أن يصلوا معهم صلاة الجماعة».

وغير ذلك من الفتاوى التي تجعل المسلمين، شيعة وسنة، في صف واحد لكي تتقارب قلوبهم.

جاء في صحيحة حماد بن عثمان عن الإمام الصادق عليه السلام:

«من صلى معهم في الصف الأول كمن صلى خلف رسول الله (ص) في الصف الأول»

الهي، اطلب اليك - في الوقت الذي تتضافر جهود أعداء الإسلام ضدنا بكل اسلحتهم - ان تمن علينا نحن اتباعك واتباع نبيك والصلاة نحو القبلة الواحدة، والايمان بالمعاد ويوم الجزاء، وأخيرا نحن الأمة المتحدة في جميع أصول شريعة نبيك وكذلك في فروع أحكامك، والمتفقة في وجهة نظرها، بالتقارب بين قلوبنا أن نستعيد بدل الغربة والانفصال فيما بيننا ، شخصيتنا الدينية وأن توفقنا إلى توحيد الكلمة تحت لواء التوحيد، لكي نسترجع ما فقدناه من العظمة والجلال، وان نضع نصب اعيننا قولك الكريم:

«وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين».

ولنستمع الى نداء القرآن إذ يقول:

«فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول».

وإذا ما استمرت الشعوب الإسلامية في هذه الدنيا على الحقد والتباعد. فلاشك انها لن تكون مشمولة بالرحمة الإلهية. وألطافها، لا في الدنيا ولا في الاخرة. فنأمل الدخول تحت ظل الوحدة والتضامن فيما بيننا، وبنزع الخصومة والحقد من القلوب، وبزرع الحب والمحبة مكانهما، أن نوجه خطواتنا نحو عزتنا وسعادتنا ومجدنا في الدنيا والآخرة، وأن ندرك في هذه الدنيا لذائذ جنة الآخرة، وأن تشملنا الآيات القرآنية التي تقول:

«إن المتقين في جنات وعيون. ادخلوها بسلام آمنين. ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين. لايمسهم فيها نصب وما هم عنها بمخرجين. نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم»

وسلام الله ورحمته وبركاته علينا وعليكم وعلى جميع المسلمين.

## الهوامش:

١ - من خطاب الإمام الخميني (قدس) في ١٣٥٩/١/١١هـ . ش .

٢ - اسلام والشأن المعاصر، ص ٢١٢، ٢١٣، طبع قم.